فـ « الشعب في المعنى العلمي المحدد هو الجمهور المتغير تاريخيا ، الذي يضم فئات وطبقات قادرة ، بفضل موقعها الموضوعي ، على ان تشارك مؤثلة في تطوير قطر معين في زمن معين » (٢) . وبذلك فان « الشعب » ، كمصطلح سياسي ، لا يتطابق مع « السكان » ، وانما هو حصر الطبقات وشرائح الطبقات التي لها مصلحة في التطوير . اما الطبقات التي تقف في وجه هذا التطوير ، او تستغل الطبقات المكافحة من اجل التطوير ، فهي ليست من « الشعب » وان كانت من « السكان ». عند هذا المفصل ، نعود الى الدولة وتعريفها علميا بانها «منظمة سياسية للطبقة المهيمنة اقتصاديا وان هدفها هو حماية النظام القائم ، وقمع مقاومة الطبقات الاخرى » (٣) . اذن فالدولة التي تسود فيها علاقات الانتاج الرأسمالية هي منظمة الطبقة الرأسمالية المستغلة التي تقمع وتضطهد الطبقات الاخرى (العمالية والفلاحية) . وهذه الطبقات الاخيرة هي التي لها مصلحة في التطوير ، وبالتالي هي « الشعب » . باختصار : الدولة في هذه الحالة تقمع الشعب والشعب هنا ضد الدولة، وان كان جزءا من سكانها .

اردت ان تكون هذه الامور واضحة لمعالجة موضوعنا في الكيان والدولة والشعب في الاردن .

قبل ١٩٢١ لم يكن هناك كيان بالمعنى الذي حددته قائم في شرق الاردن . وانا اعرف بلا شك (على الرغم من تشكيك الاخ بريزات بمعرفتي) ان البتراء كانت عاصمة مملكة عربية قديمة ، وان عمان هي ربة عمون، كذلك لم انس جرش ولا الكرك ولا مؤتة . ولكن مع هذا فانا لا اعرف في الحقيقة ما هي القضية التي يريد الاخ بريزات ان يبرهن عليها من ايراد اسماء هذه المدن . ان وجود هذه المدن ــ وغيرها كثير ــ لا يعني ان ما اصطلح عليه ابتداء من العقد الثالث من القرن العشرين باسم شرق الاردن ، كان انذاك ــ حتى عندما كانت هذه المدن مزدهرة ــ وحدة سياسية متميزة يجري التعبير عنها من خلال اجهزة وادوات خاصة بها . والمرة الاولى في التاريخ التي اصبحت فيها هذه المنطقة بحدودها الجغرافية الراهنة كيانا ، كانت بعد اتفاق تشرشل ــ عبدالله في القدس . وكل ادعاء غير ذلك هو حصد ريح لا يستند الا الى جهل في التاريخ ، في احسن النيات ، وفي معنى الكيانات السياسية . واذا حاول بعض مؤرخي النظام الهاشمي (امثال سليمان موسى ومنيب الماضي في كتابهما « تاريخ الأردن في القرن العشرين ») ان يرجعا اصول الكيان الاردني الى متصرفية الكرك، فتلك محاولة مردودة لاكثر من سبب : فالمتصرفية استحدثت قبل الحرب العالمية الاولى بسنوات قليلة باعتبارها جزءا من التقسيمات الادارية العثمانية ولم تحمل قط معنى سياسيا من قريب او بعيد ، وكانت تابعة ادارياً لولاية الشام . كذلك فان المتصرفية اقيمت على جزء فقط من ارض شرق الأردن التي كانت اجزاؤها الاخرى تخضع اداريا لتقسيمات ليست لها علاقة بمتصرفية الكرك .

اما من حيث السكان فبالتأكيد انني لا استطيع ان اقول انني عندما اتيت الى الاردن وجدتها « خالية من الناس سوى عائلات الشركس والهاشميين والنور » حسب تعبير الاخ بريزات وآسف لاتحام الاخ الناقد « النور » هنا هذا الأقحام الاستفزازي، على الرغم من ان الشاعر مصطفى وهبي التل الذي يستشهد به الأخ بريزات يعتبرهم اردنيين. او ليس هو الشاعر القائل :

يا مدعي عدم اللواء
وخير من منهم القضية
الهبر مثلي ثم مثلك
اردني التابعية

والهبر هنا هو النوري الرث الذي كان يتخذه عرار (مصطفى وهبي التل) مثالا للتمايز الاجتماعي في الاردن .

واعود الى الموضوع فأقول انه قبل قيام الكيان في ١٩٢١ كان هناك سكان في شرق الاردن (تعبير جغرافي هنا) ولكنهم لم يمثلوا وحدة كيانية . هم عرب وعرب اقحاح (ومن حادل في عروبتهم حتى يتسوق الاخ بريزات مقولة تدافع عن عروبتهم ؟) ولكنهم لم يكونوا « اردنيين » بمعنى انهم لم يتمتعوا بوجود سياسي مستقل موحد مميز ، وكذلك الفلسطينيون ، وليس في هذا عيب نخجل منه فنخفيه ، وانما يجب ان يكون فخرا ودلالة على وحدة امتنا القومية .

اكثر من ذلك نستطيع ان نقول ان طابع البداوة الذي ميز شرق الاردن في مطلع القرن العشرين كان عاملا اساسيا في ابراز انتماءات محلية وعشائرية تتغلب على الانتماء لوحدة الامة . وقد سجلت هذه الحقيقة قيام ثماني « دول » في العام ١٩٢٠ ومطلع